Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

5 ـ الطباق

5-1 تعريف:

الطباق هو الجمع بين لفظين متضادّين (متقابلين) في الكلام.
وللطّباق أسماء عديدة أخرى: المطابقة، التّطبيق، التّضادّ.
مثال:

ـ شبيـه بـالقضيب وبـالكثيب غـريب الحسن في قـدّ غـريب
بعيـد إن نـظرت إليـه يـومـا رجعتَ وأنـت ذو أجـل قـريب
(أبو نواس)

أجرى أبو نواس في البيت الثاني من المثال طباقاً بين «بعيد» في الصدر و«قريب» في العجز. والتقابل بين تينك الوحدتين موجود في المعجم ويمكن إجراؤه في الكلام على وجوه عديدة حسب المقام. فقد يعتمده المتكلّم في قياس هندسي يعتمد المسافة ولكنه لا يحدث تخييلاً ولا متعة، فالمقابلة فيه مؤثرة، وعلى هذا قس سائر الوجوه التي يمكن أن يجري فيها هذا الزوج من المفردات. أما ورودها في مثل هذا البيت فيحدث أثراً دلالياً يقوم عليه وجه من وجوه الأدبية فيه. فالطباق الذي تدرسه كتب البلاغة هو ذاك الذي يرمي صاحبه إلى الإمتاع بإجرائه في كلامه.

فالغلام الذي يتحدّث عنه أبو نواس وصاله صعب المنال لذلك وصفه بالبعد، وعلى قدر ذلك البعد يكون التعلّق به وعلى قدر ذلك التعلّق يزداد الألم بالإحسّاس باستحالة الوصول إليه، وعلى قدر عمق ذلك الإحساس وشدّته تكون المعاناة، وعلى قدر هذه المعاناة يقترب صاحبها من الموت. فأنت ترى أن المنطلق كان من البعد ووصلنا إلى القرب وهما في ظاهر اللّفظ متقابلان، ولكنّ التحليل بيّن أنّهما مترابطان ترابطاً منطقيًّا إذ ينتج القرب عن البعد، ولكن كل واحد منهما يرتبط بعنصر يختلف عن العنصر الذي يرتبط به قرينه. فالبعد يتعلّق بالغلام والقرب يتعلّق بالموت والغلام سبب في الموت، فالبعد إذن سبب في القرب ـ إن جاز التعبير.

ويؤكد هذا الهندسة التي أجراها أبو نواس في البيت إذ افتتحه بالبعد وختمه بالقرب. وعلى هذه المطابقة تقوم مطابقة أخرى لا تظهر في اللفظ ولكن التركيب يفترضها. فبعد المحبوب يسبّب الموت وهذا يعني أن قربه يدفعها، فينضوي البيت على مطابقة بين الحياة المقترنة بالبعد وبين الموت المقترن بالقرب. وينضوي كذلك على مطابقة بين نزوعين: نزوع إلى الحياة أو نزوع الأمل عموماً ونزوع آخر إلى الموت أو نزوع اليأس عموماً، وإذا الغلام رمز تجتمع فيه ثنائية الوجود المطلق هي الحياة والموت تشكلّت